إبداعات فلسطينيّة

ملف من إعداد مجلة الآداب

لا ميزة للفلسطينيّ في ذاته. هو كباقي البشر: يأكل إنْ جاع، ويبكي إن اضطرمتْ مواجعُه. ما يميّزه هو واقعُه الضاري في الوطن والشتات، وإصرارٌ مدهشٌ على رواية حكايته بنفسه، وبسبل شتّى: طَرْقًا على جدران الخزّان، أو أنينًا من وجعٍ مقيم...

بعد أن أطلّت الآداب على إبداعات ثلّةٍ من كتّاب غزّة الشباب في عددها السابق، تعود لترتكب «جرْمَ» محبّة الفلسطينيّ والإصرار على نقل صوته. وبتعاونٍ مشكورٍ مع الكاتب مهنّد صلاحات، والشاعر أيهم السهلي، تستمرّ الآداب في إطلالاتها الإبداعيّة الفلسطينيّة، يحدوها الأملُ في أن تصبح «الإطلالات الإبداعيّة» بابًا ثابتًا، يعمّم على إنتاجات أخرى من بقيّة أقطار الوطن العربيّ.

المشاركون (ألفبائيًّا)

- أحمد حسين السعو
- أمين دراوشة
- أيهم السهلي
- خلدون عبد اللطيف
- خليل أبو سلمى
- رائد وحش
- غازي الذيبة
- قيس مصطفى
- كوليت أبو حسين
- مهنّد صلاحات

أن تطأ فلسطين

. أيهم السهلي .

أيهم السهلي

كاتب فلسطينيّ مقيم في سوريا. يعمل محرّرًا للقسم الثقافي في مجلة الحرّية (الفلسطينية).

لطالما توقّفتَ عند الحدود ممسكًا حفنةً من ترابٍ يمتدّ نحو بلادك، نحوك، قاصدًا أن يحمل النسيمُ مسامَّك إلى القدس وحيفا ويافا ورام الله وغزّة وكلٍّ بقعة من فلسطين.

ما أشدّ حبّكَ لنفسك، أيها المنفيُّ خارج الأرض، اللاجئُ في أرضٍ أخرى هي أرضُكَ بامتداد الانتماء إلى عروبتك.

ما أشدّ حبّكَ لهذه النرجسيّة: فلكونكَ فلسطينيّاً، تجدك من كلّ الأماكن ومن فلسطين في الوقت نفسه.

فكم أنت واحدٌ، وكم أنت كلٌّ! تجمع الكونَ في راحتيك وأنت ممتدّ على خارطة العالم كلّها، حاملا اسمَك واسمَها.

كبير أنت، وبها تكبر، رغم الدروب الطويلة والمنافي الكثيرة.

لطالما توقّفتَ عند الحدود، صارخًا في وجه جنديّ عند الطرف الآخر: «ها هنا أرضٌ عربيّة، ولا بدّ أن تمضي قدماي عبرها إلى فلسطين.» وببارقة حلمٍ يشتدّ بك الحنينُ، فيصيرُ امرأةً تعانقكَ حدّ الاعتصار لتتقاطر مطرًا عليها.

ها هنا لاجئ: سنواتٍ طويلةً وقفتَ، مع غيرك من اللاجئين، تنتظرون، وتنظرون حولكم كلّما زاد البعدُ يومًا، متسائلين إلى متى؟ إلى أن أعود! المخيّم باقٍ هويّةً تصدح، ولن يموتَ ما لم أولدْ من جديد، من رحم أرضٍ أنا منها وهي مني.

ما دلّنا أحدٌ على الطريق. يولد الفلسطينيُّ، أينما وُلد، على الفطرة: على أزليّةِ فلسطينيّته. وتأخذ عروقُه شكلَ خارطة بلاده: ها هنا مدنُها وقراها، مساجدُها وكنائسُها، وشجرُها الممتدُّ من أقصاها إلى أقصاها.

منذ الولادة، يدرك الفلسطينيُّ الحبَّ الذي لا براءَ منه، الارتباطَ المطلقَ بالأرض، رائحةَ الزعتر في حديث الأهل، وطعمَ الليمون في ذاكرة الأجداد.

ما دلّنا أحدٌ على الطريق..

فلنا الهويّةُ والطريق..

ونحن الوصولُ إلى ما نريد..

ما دلّنا أحدٌ على الطريق.

من دمشقَ إلى فلسطين:

من الخيمةِ إلى الوطن!

دمشقُ القصيدةُ كلّها. دمشق تنطق العربيّة في شجرها ونسيمها ومائها. ودمشقُ تولد كلّ ليلة من قصائد المتنبّي، لتحيا في ترابها قصائدُ درويش. لم يأتها شاعر ليركن إلى نفسه قليلاً إلا وركنتْ هي إليه ليكتبها على طريقته.

أنت في دمشق، بعد ٦٣ عامًا من عمر النكبة، و٢٥ سنة من عمر اللجوء. وفجأةً، في مخيّم اليرموك وسط دمشق، وأنت جالس على سطح «المركز الفلسطينيّ للثقافة والفنون،» يَطلب منك غسّان صورةً لجواز السفر. وببارقة حدسٍ عرفتَ أنك ذاهب إلى فلسطين. ولكنك تسأل: إلى أين؟ يجيبك غسان بفرحةٍ كنتَ تشاهدها على أوتار عوده حين يغنّي للوطن والحب. «ما أجمل الفكرة،» تصرخ في داخلك. سأعود!

يقترب الوعد، وأنت تداوم على السؤال: متى نذهب؟ يتأجّل الموعدُ المأمولُ شهرًا؛ فثمّة إجراءاتٌ تحول دون العودة. ثمة اضطرابٌ. قد نذهب وقد..

في الثانية عشرة ليلاً أطلّت جنّةٌ من صوت غسّان، وبحديثه التمعتْ نجومٌ، ورقص قمرٌ: «نلتقي عند السادسة صباحًا لنذهبَ... إلى فلسطين!»

لملمتَ كلّ شتاتك وشتاتِ المخيّمات، وانطلقتَ إلى موعدك المنتظر، حالمًا بالكثير، وخائفًا من انكسار أحلامك الكثيرة عن الوطن. مخاوفُكَ ازدادت وأنت تواجه الحدودَ الأردنيّة الأولى.

تخرج من الحدود، وتدخل الأردن عابرًا عمّانَ نحو جسر الملك حسين، مارّاً بمنطقة الكرامة، حيث موقعة الكرامة، الحاضرة في ذاكرة العرب إبّان نكسة حزيران. تصل المعبر. الوطن على بعد خمسة كيلومترات فقط! ترى أريحا، مدينةَ التاريخ والحضارة. ترى أفقَ فلسطين.

تتوقّف عن التدخين. صرت تريد أن تأخذ الشمسَ نحو الغياب، كي يُسرعَ الوقتُ.

تتسلّم التصريحَ الذي ستمرّ عبره من النقطة الإسرائيليّة إلى بلادك. تغتالك دمعةُ «حسن» اللاجئ من لبنان، و«حسن» اللاجئ من سوريا: فهما بلا تصريح. يعود الزمنُ بك إلى الوراء، إلى تاريخ شعبك. السيّدة حوريّة، التي رافقتْ فرقتَها الشعبيّة (فرقة الكوفيّة)، تفاجئك في عمّان بأنها لن تدخل معكم لأنها لم تحصلْ على موافقة. ستعود مع الحسنَيْن. هكذا الفلسطينيّ: عائدٌ دومًا.

تصل إلى النقطة الإسرائيليّة. تُمنع من حمل حقائبك. يتقدّم شبّانٌ يرتدون اللون البرتقاليّ، وترتديهم سحنةٌ تشبهك. تعرف أنهم فلسطينيون مثلك. تقف في الطابور الأول. خلفك غسان، صاحبُ البشارة. تسأله: «طلعتْ إسرائيل جدّ، مش مزحة؟!»

تجتازهم واحدًا واحدًا، ذاكرةً ذاكرةً، طلقةً طلقةً. تقف مقابلهم، وهم يسألونك عمّا أتى بك إلى إسرائيلهم. لأول مرة تعرف معنى الأنا والآخر بهذه الحدّيّة المثيرة للسخرية. ها أنت وها هو. وقد يكون هذا الواقفُ أمامك هو الساكنَ بيتكَ في «بلد الشيخ» في حيفا. وربما لو سألتَه من أين أتى لأجابك: «من حيفا، من تل حنان، بلد الشيخ ذاتها.» قد تكونان متشابهين في كلّ شيء.. إلا في أمر واحد، هو الفارق الكبير والنهائيّ ولا حلّ له: الأرض! والأرض تعرف أولادها ولا تخطئ رائحتهم، وليمونةُ الدار تربطها علاقةٌ سريّةٌ بزيتونة الدار، ويدُ جدك شاهدة على الشجرتين حين كانتا غرستين ضمّهما إلى الأرض.

هو قاتلك وأنت قاتلُه. هو بسلاحه ودمويّته وهستيريا القتل؛ وأنت قاتله حين يراك عند الحدود تضجّ بفلسطينيّتك.

دخلتَ فلسطين ليلاً. وما إنْ دخلتَ حتى بدأتَ تبحث عن قمر بلادك لترى إنْ كان أحلى كما يقال. بحثتَ، فلم تجده. لكنّ النسيم دومًا هو منقذُك ودليلُك الحرّ. أخبَرَكَ عن كلّ شيء في لحظة وَجْدٍ صغيرة: قال إنّ كلّ شيء في بلادك أحلى، بما في ذلك الحنظلُ.

دخلتَ أريحا، ناسيًا كلَّ ماضيك. ها هنا يبدأ تاريخُك. تكتمل، لأول مرةٍ بك، أبعادُ الوجود الثلاثة: المكانُ والزمانُ وأنت. لأول مرة في حياتك لست لاجئًا. لأول مرة في حياتك يصبح المخيّم غربتك الأصيلة ووطنَك المؤقّت.

أنتَ الآن أنت!

دمشق

وأصعدُ وحدي

. خليل أبو سلمى .

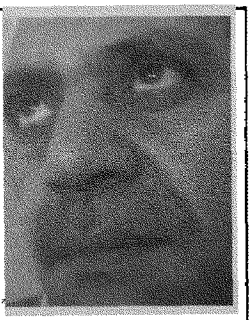

خليل أبو سلمى

شاعر فلسطينيّ لاجئ في سوريا.

صاعدًا
نخيلَ الخيبةِ الظمأى
بأشباحِ السراب،
أبعثرُ الشوقَ الثقيلَ
على رملِ الذهول،
وأضمُّ أسئلتي
خيطَ ضوءٍ يابسٍ في مقلتي.
كان لدينا مزيدٌ من الوقت لقبلةٍ...
أو رعشةٍ...
أو صرخةٍ أُخرى...
أو عناقٍ لائقٍ بما اقترف الفؤادُ الناشبُ
في جسدي من الهوى...
أو طعنةٍ في الظهرِ أبهى
من فراقٍ ضيّقِ الطلعة
لا يُمهلُ المذبوحَ على حجرٍ
لكي يلقي -
على أعشابِ نجيعهِ المرتدِّ -
صرختَه الأخيرة.
كان لدينا طريقةٌ للذبحِ
أرحمُ:
فالموتُ في دربِ الصعودِ أشهى
من حليبِ الأم،
ومن رغيفِ حلمٍ يابسٍ في الحلقِ
يكاثرهُ الحنين.
...
صاعدًا وحدي
أختالُ في صحراءِ أوردتي...
بطلاً من الشهوات!

أنتحلُ المدى شبقًا
وتكسرُني الرؤى
تذوِّبُني بجليدِ أيامي
قمرًا من البنفسجِ لا يضيء.
...
صاعدًا وحدي
واسعَ الخطواتِ
في ضيقِ الفضاءِ
متكئًا عصاي..
جيشًا من الرغباتِ
آخرُها حريق.
تعوي من الوجدِ روحي
وتشفي غليلي قطرةُ ماءْ.
صاعدًا وحدي
أدحرجُ المنفى إلى الوطنِ
وأعِدُّ الولائمَ لليتامى
ذاهلاً في الصمتِ من بلادٍ
تبيعُ جدائلَها للنارِ
تتضاءلُ في حلمي
من مدنٍ من البللور مشيدةٍ
إلى حجرٍ بقارعةِ السنين
يُشظِّي خُطايَ.
...
صاعدًا طريقَ جلجلتي
باسمًا من شدّةِ الغضبِ
بلا أبٍ
يصفع وجهَه عتبي
ولا أمٍّ تشرب حسرتي ثكلى
وتنـزعُ الأشواكَ من روحي.
لن أشتهي مدنًا تستنكر النـزفَ
على البؤساءِ إذا نـزفوا
وتنكر الشهداءَ بما اقترفوا
في حبّها ... فمضوا.
لن أشتهي مدنًا.. إذا اغتُصِبتْ
تقول الآهَ في طربٍ!
...

صاعدًا وحدي
لم أدَّعِ أني رسولٌ جاء من صحراءَ
طاعنةٍ في الكفرِ لا تنجبُ الدّفلى.
لم أتزوّج البحرَ،
ولم أفُضَّ بكارةَ الأشياء.
لم تشتهِ جسدي امرأةٌ ولم
ترتفعْ فوقَ البنفسجِ قامتي.
لم أصرخْ بجوفِ الليل من ألمٍ تآكلني...
ولم أُطعم الفقراءَ من لحم أغنيتي.
لم ألعنْ طغاةَ الأرضِ... ولم
أُرفعْ على خشبِ الصليب
ولم أنـزفْ وصايا.
...
سأنكرُ
أنني أمشي
إلى لحدي
بلا ظلٍّ
ولا جسد.
سأصعدُ وحدي
صمتي وقهري
صهيليَ قحطي
و بَرْدِيَ بُرْدِي.
سأمشي ضريرًا
بهذا الطريقِ العقيمِ
أطحنُ حزني فتاتًا
وأقتاتُ جلدي
وأنثرُ صوتيَ
أطيارَ شوكٍ.
فيا أرضُ مُدِّيْ
ذراعيْكِ حتى سماءِ السماء
وشُدِّي بعنفٍ على القلبِ
شُدِّي
على القلبِ شُدِّي.
سأمشي على جمرِ هذا الصعودِ
وإنْ ذابَ جلدي.

سوريا

قصص

مهنّد صلاحات

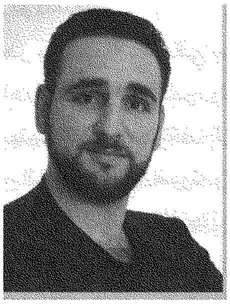

مهنّد صلاحات
كاتب ومخرج، يعمل في مجال الإعلام والدراما والأفلام الوثائقيّة. من إصداراته: **إلى أربع نساء** (قصص)، **وحيدان في الانتظار** (قصص). وهو عضو رابطة الكتّاب الأردنيين.

١ ـ بالنسبة إليّ

ثلاثُ جثثٍ معلومة الهويّة، لكنها مشوّهة، على قارعة الطريق، ملقاة كأنها أكياسُ قمامة. لم تُثر أحدًا من المارّةِ كي ينظر إليها؛ فهم يبحثون عن جدارٍ يسيرون إلى جانبه بسلام ضمن قاعدة «الحيط الحيط ويا رب السترة.»

القاتلُ ذو سطوة، إلى جانب أنه رجلُ أمنٍ يعرفه الجميعُ، ويعرف الجميعُ أيضًا أنّ القتل في تلك المدينة قد صار عادةً يوميّةً مثلَ الصلاة والأكل والنميمة.

الموت في المدينة لا يتمّ استيرادُه لأنه مُنتَجٌ وطنيّ بامتياز، ويتمّ عادةً بحجّة «حماية الوطن.» وهو يُعبّأ بالصناديق، ورائحةُ الموت تُسيطر على هواء المدينة فتتسلّل إلى كلّ أنفٍ مهما كان مصابًا بالزكام. وبالرغم من ذلك، فإنهم يقيمون «محكمةً» كلّما وَجدوا جثّةً ملقاةً على قارعة الطريق ويستجوبون القاتل.

وعلى ذمّة القاتل، فإنّ القتيل كانَ إرهابيّاً يحمل في طيّات كتابٍ كان يقرأه في حديقةٍ عامّةٍ ما يشبه الخططَ العسكريّة التي تسربتْ إليه من دولةٍ أجنبيّةٍ معاديةٍ بهدف إسقاط النظام، وخبّأ في ثوب طفلته قنبلةً بحجم رضاعة الحليب الخاصّة بها، ودَسّ في عيون زوجته جهازَ تسجيل.

وبحسب ضابط الأمن الذي تولّى التحقيق، فإنّه لم يتمّ العثورُ على أيّ خططٍ عسكريّةٍ بين طيّات الكتاب الممزّق، لكنه أبدى توجّسَه من الكلام المكتوب فيه.

ولم يتمّ العثورُ على أيّ سلاحٍ أبيضَ قربَ جثّة القتيل، ولا على قنبلةٍ في ثوب طفلته، ولا على أيّ نوعٍ من أجهزة التجسّس والتسجيل في عيون زوجته، فاضطرّ رجلُ الأمن الجنائيّ إلى فقء عينيها بحثًا عن أدلّةٍ تدحض رواية القاتل. وأضاف ضابطُ الأمن: «لكنّ هذا لا يبرّئ القتيل من إثم النيّة المسبّقة، فكلامُ الكتاب مريب.»

وعلى ذمّة القاضي، فإنّ القاتل كان خائفًا من الفكرة ـ وهذا ما يجعل الجريمة دفاعًا عن النفس، فالفكرة أشدّ فتكًا من القنبلة.

لكنّ القاضي لم يحدّد لونَ الفكرة وشكلَها وكميّتها، بل اكتفى برفع الجلسة بعد تبرئة القاتل.

أما بالنسبة إليّ، فالقاتل ضحيّة البشريّة التي تَخلّت عن الإنسانيّة ووقفتْ إلى جانبه تبرّر له الجريمةَ لتقْنعه بأنه بطل.

إنه ضحيّة الإنسان الذي خلق الجريمةَ، ومن ثم صار يبحث كيف يمكن أن يصنع رجالَ أمنٍ ليتخلّص منها.

ترى مَن جاء قبل الآخر:

الجريمةُ أمْ رجلُ الأمن؟

الخوفُ أمْ رجلُ الأمن؟

ومن الذي فرّ من الآخر:

الأمنُ أمْ رجل الأمن؟

لا يشبه اللهُ أبدًا ذلك الإلهَ الذي يصلّي له رجالُ الأمن والمخبرون، ويتحدّث عنه رجالُ الدين والمتديّنون.

٢ ـ عن موت اليمامات

وقفت امرأةٌ قرب علبة ألوان على شرفتها، وقالت للربيع:

ـ انتظر عودة حبيبي. لا تُسقط بقيّة أوراق الشجر، لا تجعلِ الزهورَ تَذبل، علّهُ يصنعُ لي عقدًا من النرجس البريّ من الجبل.

مضى الربيع دون أن ينتظر أحدًا، ونسجت المرأةُ لنفسها عِقدًا من الأمل.

كلّ اليمامات اللواتي مررن بشبّاكها وقفن ونُحْنَ على رجلٍ فقدتهُ، أو على ذَكَرِ حَمَام. لم يعد من هجرةٍ مفاجئة، ولم تنتظر عودته، لكنها بقيتْ كلّ عام تجدّلُ شعرها كصبيّة في السادسة عشرة من العمر، وتصنعُ لنفسها في الربيع عِقدًا من النرجس البريّ، وتُغنّي وحدها:

«لو كنتَ الآن معي، لنسجنا لليمامات أثوابًا بيضاء، وللشجر أثوابًا خضراء، ولرسمنا على البحر في هذا الليل شمسًا صفراء. فقط لو كنتَ الآن معي، لأعدنا رسم وجهِ هذه الحياة.»

كبرتْ يماماتُ الشبّاك، وهرم صغارُها أيضًا. والمرأة التي قالت للربيع يومًا أن ينتظر حبيبها بقيتْ صبيّةً في السادسة عشرة تُجدّلُ شعرها كلَّ صباح، وتغنّي وحدها، وتصنع لنفسها عقودًا من النرجس، وتنتظر رجلاً لم يزرها يومًا، ولا احتسى قهوتها، ولا دفّأتْ كفّاها وجنتيه، ولا يديها يداه.

امرأةٌ كانت تشبه الصباحَ. كانت تَسمعُ صوتَه يغنّي لها كلّما مرّت من بين شقوق الشبّاك ريحٌ، أو راقصَ النسيمُ أوراقَ الشجر في بدايات الشتاء.

أما اليمامات فكنّ يمارسن البكاء على ذكورٍ رحلوا، ونذرن ألاّ يرتبطن بآخرين. كذلك فعلت المرأةُ المُنتَظِرة.

قالت لصورةٍ معلّقةٍ على الجدار، كأنها كانت صورته: «لا زلتَ تشبه نفسكَ منذ عرفتُك قبل أعوام.»

تأمّلت الصورةَ كثيرًا، ومضت إلى عاداتها اليوميّة: تجدّل شَعرَها، وتصنع عقودًا من النرجس. ولأنّ الغرفة كانت معتمةً، فإنها لم ترَ سوى انبعاث الضوء من عينيه في تلك اللوحة.

عادت لتقرأ رسالته الأخيرة. عاودت القراءة من رأس الصفحة، حيث وضعتْ إشارةً من حيث انتهت. وكلّما قرأتْ سطرًا توقّفتْ وتأمّلت السقفَ الأبيض، وبدأتْ ترسم صورًا في مخيّلتها.

بعد وقت من القراءة، وضعتْ جانبًا رواية **الحبّ في زمن الكوليرا** لماركيز، ومضت نحو النافذة تبحث خلف زجاجها عن البحر الذي قال لها إنه سيأتي منه بالقارب إليها، ليحملها ويمضيا معًا إلى حيث لا يدريان.

البحر وحده سيعرف أين يأخذهما؛ فقد قرّرا أن يُسلما أمرَهما إليه، ويجعلاه البوصلة.

المرأةُ التي صنعتْ لنفسها من النرجسِ عِقدًا، ووقفتْ قرب النافذة تنتظرهُ أن يعود من البحر، لم تَكتب له يومًا حرفًا. لكنها كانت واثقة بأنه يقرأ كلَّ رسائلها التي لم تكتبها.

لم تُفكّر في أن تكتب له على رملِ البحرِ ولو جملةً يأتي في بدء الليل مدُّ الموج ليسرق حروفَها؛ فهي أصلاً لم تعرف البحر، ولم يكن قريبًا منها كما تخيّلتْ، وشبّاكُ بيتها الذي كانت تقف إلى جانبه كان يُطلّ على السوق. ولئن جاء الذي لا تعرف صوته ولا شكله، فستطغى على نداءاته لها أصواتُ الباعة الثابتين والمتجولين والزبائن واللصوص، وصفّاراتُ سيّارات الشرطة والإسعاف.

فقط اعتادت الوقوف أمام لوحة لوجهه، تتأمّل ملامح وجهٍ أسودَ لا تعرفه، ولا ترى منه سوى بريق عينين وظلٍّ أسود لإنسان يحيط بذلك البريق.

تسير بخطاها الناعمة نحو الشرفة تحمل ألوانها وتستكمل الرسمَ الذي بدأته على اللوحة منذ عشرين عامًا.

اللوحة لم تتغيّر كثيرًا. الملامح وحدها تتبدّل، وبريقُ العينين في اللوحة يزداد ويخفت أحيانًا، فتضطرّ إلى تغيير نوع الألوان الحادّة.

ظلّت ترسم ملامحَ وجهٍ تراه في الصورة المعلّقة على الجدار. ذلك لأنّ العرّافة قالت لها إنّ الحياة ستدبّ في صورته، وإنّه سيأتي في منتصف الربيع، فيصنع لها عقدًا من النرجس الجبليّ.

منذ ذلك اليوم ظلّت تنتظر أن تصير نبوءةُ العرّافة قصّة حبّ لم تعشها، حتى في زمن الكوليرا وإنفلونزا الخنازير والقنابل العنقودية ودخان المصانع والمبيدات الحشريّة.

لكنّ شيئًا لم يتغيّر، سوى أنها لم تستطع أن تزور العرّافة في العام التالي لأنها وجدتْ بابَ بيتها مغلقًا، وأخبرتها جارةُ العرّافة أنهم دفنوها في مكان قريب. وماتت كلُّ يماماتها البنيّة في آخر الربيع.

عادت إلى البيت.

لم تجد صورته المعلّقة على الجدار، فخشيتْ أنّ أحدًا سرقها أو أبدلها.

أزاحت الستائرَ عن الشبّاك، لترى في المرآة وجهَها الشاحبَ ذاته. تحسّستْ تجاعيدَه التي لم ترها منذ زمن، وأدركتْ أنّ بريقَ عينيها قد انطفأ.

عادت إلى اللوحة التي بدأتْها منذ عشرين عامًا، والتي قالت لها العرّافة إنّ الروح ستدبّ فيها كما دبّت في الصورة المعتمة المعلقة على الجدار. فوجدتْ صورتَها مرسومةً بالأسود، ولون العينين صار شاحبًا أيضًا.

٣ ـ نصيب اللاجئين

في الرحلة الستين، من بحرٍ إلى بحر، ومن خيمةٍ إلى خيمة، صار الوطنُ البعيدُ كالشمس حلمًا يبتعد كلّما اقترب منه أطفالُ المُهجّرين.

حمل اللاجئون مفاتيحَ بيوتهم في رقابهم كمشانقهم، تخنقهم إنْ هم تحرّكوا في غير الاتجاه الذي يؤدّي إلى العودة. ومضوا باتجاه البحر.

لا البحرُ قَبِلَ ابتلاعَهم، ولا نورُ الشمسِ خفّف من مُصابهم بالفقدان. ظلّوا في كهف الهجرة سنين، يحملون أوسمة اللاجئين التي تمنحهم سردينًا وطحينًا.

لم يكن الجوعُ هاجسهم ولا الموت؛ ظلّ الوطنُ وحده هو الهاجس، كما التراب أيضًا.

متفائلٌ منهم قال ذاتَ يوم حكمة اللاجئ الشهيرة: لا تخافوا على الأرض؛ ففيها متّسعٌ لمخيّمات أخرى ستأتي يومًا لتكون مكانكم، أو ربما ستصبحون يومًا مدنًا من إسمنتٍ لا ذاكرة له كالياسمين.

فكما طعامُ الواحد يكفي اثنين، صار القبرُ الواحدُ فيّ المنفى يتسع لمخيمين.

٤ ـ المشهد الأخير

ذات لحظة، كان يُفكّر كثيرًا كيف يرسم له ولها حاضرًا مشتركًا.

كانت تفكّر بالغد ونسيت أن تعيش الحاضر الذي رسمه.

وحين وقفا على مفترق الطريق الذي يسير بهما من الحاضر إلى الغد، قرّرا أن يفترقا.

أصبحَ يسيرُ في كلّ يومٍ عكسَ طريق العودة، موغلاً في السير قُدُمًا، ويعودُ من جديدٍ ليسير في الطرقات التي كانا يسيران فيها معًا:

يسجّل اللحظات، يكتب عنها قصصًا وحكايات، ويلتقط للذكريات بعض الصور.

أما هي فكانت تجلس مع الرجل الجديد، تستجدي منه كلمات حبٍ وبِضعَ عاطفة، وتحكي له عن الوجع والتجارب الفاشلة، وتحدّثه عن المشهد الأخير على مفترق الطرق. ولم تفكر مرةً أن تقول: «عشتُ معه أجمل لحظات ذلك الجزء من العمر»؛ فكلُّ ما علق بذاكرتها كان المشهدَ الأخيرَ فقط.

ما أطولَ طريق اللحظات الجميلة في الذكريات في حياته، وما أقصرَ ذاكرتها التي لم تحتملْ سوى المشهد الأخير!

عمّان

قصتان

كوليت أبو حسين *

كوليت أبو حسين
قاصّة وشاعرة فلسطينية تُقيم في عمّان. أسّستْ حديثًا دار كاف للنشر والتوزيع في عمّان، وهي دار نشر تُعني بالكتابة الجديدة وتهتمّ بالأصوات الفلسطينيّة الشابّة.

١ - أحلام ناشفة

تقف على المجلى المُطلّ على الساحة. تراقب الشبّانَ يلعبون كرةَ القدم، بأجسادهم الفتيّة، وشورتاتهم الكالحة، وعضلاتهم الصغيرة البارزة.

لم تكن لتقايضِ الجليَ بأيٍّ منَ الأعمالِ المنزليّة الأخرى؛ فقد كان الشُبّاكُ الذي تغطّيه برداية القشّ سينما حيّةً، تبدأ عروضها كلّ يوم عند الواحدة والنصف ظهرًا، حين يعود الفتيانُ من المدرسة ليتوقفوا في الساحة نفسها - التي يُطلُّ عليها شُبّاكها - ليلعبوا كرة القدم.

كانت أجسادُهم الطريّة مثل قطع المارشملو، وعضلاتُهم الصغيرة مثل بالونات الماء، تشدُّها بشكلٍ غريب، وتُحرّك في الجسد المخبّأ تحت الجلباب الرماديّ قطيعَ مشاعر بريّةٍ، يقودها ثورٌ فحل.

كانت كلّ التفاصيل تصبح مادةً دسمةً لأحلامها الهَرِمة. كلّ يوم تختار أحدَهم لتلهو معه في أحلامها. تندسّ في فرشتها الإسفنجيّة، التي تتغيّر وفقًا لحلمها الليليّ ومزاجها الجنسيّ: فيومًا تغدو «سريرًا مائيًا،» وليلةً تصبح كنبةً مقابلةً لشاشة تلفزيون مسطّحة كتلك التي تراها في الإعلانات التجاريّة، ويومًا آخر تصبح طاولةَ مطبخ. وفي كلّ الأحوال تبدأ الأحلامُ بفتًى يَدخل رطبًا تفوح منه رائحةُ العَرق النّديّ، يحمل كرةَ قدمٍ في يده، تنتزعُها منه لتنقضّ عليه بشبق!

ما كانت لتُقايضَ الجلْي، مهما كثرت الصحونُ والكاسات، بشيء آخر. لم تتذمّر يومًا. وهذا جعلها «مَرْضيّة» عند الأم: «ما في زيّها، الله يرضى عليها، بتشتغل بتُمْ ساكت!»

كانت تعرف تقاطيع أجسادهم جميعهم. وتعرف نقَط قوّتهم: فالبعض يَملك سواعدَ قويّة، والآخر فخذين مشدودين، وذلك الفتى الأسمر كان يَحمل التكوّر الأكبر بين فخذيه.

تَدفع بمؤخّرتها إلى الوراء بحثًا عن تكوُّرٍ ما. تَشدُّ فخذيْها. تشدُّ الليفة بأصابعها. تفور الرغوةُ. يغدو المجلى حوضًا يفيضُ شهوةً. تَنزّ فقاعاتُ «الغولدن» برائحة التفّاح على يديها، ويَنزّ سائلٌ خفيفٌ برائحة الكبْت على ملابسها الداخليّة.

تَشُدُّ أكثر على المَجْلى. تكْتم الصوتَ المبحوح. تُرجِع ظهرَها إلى الوراء بغنجٍ حقيقيّ. تنتفض بثِقَل و....

تَدْخل والدتها إلى المطبخ فجأةً.

- شو بتسوّي؟؟

ـ ولا إشي. ضهري وجّعني!

تُعدّل من وقفتها وتستوي، مُمسكةً بصحنٍ لتنظّفه. تخرج الأمُّ من المَطبخ وهي تدعو لها بالرضى والسّتر!

تعود الأم فتُطلُّ برأسها مرّةً أخرى:

ـ الله يجازي الشيطان. يلاّ بدنا نصلّي العصر جماعة!

تَردّ من دون أن تَنظر في عينيها:

ـ بدّي أتحمّم أولّ!

ـ ليش ياختي؟ جُنب!؟ يلا توضّي والحكيني!

ـ يمّاااا؟

ـ يلاّاا!

تَنفُض فقاعاتِ الصابون برائحة الشبق والتفاح. تمشي بتثاقلٍ إلى الحمّام. تنظر إلى وجهها في المرآة. تُحبّ اللّمعةَ في عينيها السوداوين كلّما مارستْ أحلامَها في الخفاء، وترفض أن تُخبر بناتِ خالاتها وأخواتها بما يمنحها ألقَ فتاةٍ في العشرين رغم اقترابها من الأربعين.

وتعرف أنّ ما تفعله أكثرُ نفعًا من وصفات العطّار التي يُحضرنها للمحافظة على بشرتهنّ صافية بيضاء كما تفضّلها كلّ القَرويات. كيف ستقول لهنّ إنّ أحلامها الرطبة أفضلُ من أحلامهنّ الناشفة والمتشقّقة كأقدام أُمهاتِهنّ العجائز؟

الطَّرْق على الباب يتواصل لاستعجالها.

ـ الصلاااااة!

تَهْمس بتأفُّف:

ـ بدّيش أَصلّي!

تفكّر قليلاً، أَيجب أنْ تتوضّأ؟

تغسل وجهها بسرعة. تُعدّل من حجابها وتخرج. تقف إلى جانب شقيقاتها بلامبالاة لتَؤُمهنّ الأُمُّ. تفكّر بشيء آخر، بعيدًا عن هذه العصبْة من النساء اللواتي لا يَحْلمن بشيء ولا يَنْتَفضْنَ لشيء. تَسمع صوتَ التكبير يأتي بعيدًا من أَفواههنّ المكمّمة كأجسادهنّ الميتة. تُغمِض عينيها بخشوع كاذب، وتتمتم بشيء آخر.

حين انحنت للركوع، كانت ما تزال تُحسّ بأنّها تسبح بالرغوة... وبذلك التكوّرِ القاسي يتحرّك على مُؤخّرتها.

٢ ـ كيس أسود

كنتُ أبحثُ عن رجلٍ يُشْبهني

وحين وجدْتُه..

أدْركتُ مدى

بشـــــاعتي!

...

تراقبُه بصمتٍ وهي تراه يُعدّ البيتَ لاستقبال المرأة الغائبة منذ سنة.

(كانت تظنّ أنّهما منفصلان، وصدّقتْه حين قال إنّها لن تعود).

يضع صورةً لهما على طاولةٍ صغيرةٍ قرب السرير.

(كانت تَظُنّ أنّ لها اسْمًا آخر، وصدّقتْه حين قال إنّها فقط طاولةٌ صغيرةٌ قرب السرير).

يُلصِق ورقةَ ملاحظاتٍ صغيرةً، كُتِب عليها «أُحبكِ» بتاريخٍ قديم. يضع صورةً لأقدام متشابكةٍ على شاطئٍ ما.

(كانت تظنّ أنّها بحر، وصدّقته حين قال ذلك على حدِّ موج الرغبة).

يكْنُس خُطاها عن الأرض. يلُمُّ شَعْرَها عن الشراشف.

يَرُشُّ مُلطِّفًا للجوّ العابقِ برائحتها.

(كانت تَظُنّ أنّه يحبّ رائحتها، وصدّقتْه حين قال إنّه يفترسُها حين تَغيب).

يضع في فمه حبّةَ هولْز، مُخفيًا طَعْمَها من فمه. يلُمُّ النّفاياتِ، وملابسَها الداخليّة المُلقاةَ على الكنبابة، في كيسٍ أسود. يَنظر إلى تفاصيل الأشياء حوله من دون أن يراها تمامًا. يتأكّد أنّ كلَّ شيء عاد إلى مكانه، كأنّ شيئًا لم يكن، كأنّها لم تكن هنا من قَبْل. يَنظرُ إليها من دون تعابير. يُمسكُ الكيسَ الأسود بيد، ويمسكها هي بيد. يُغادران البيت. تسير إلى جانبه في الشارع من دون كلام.

(كانت تظُنّ أنّه مازال مُمسكًا بيدها، وصدّقتْه حين قال إنّه متعلّقٌ بها).

يتوقّف فجأةً. يُلقي الكيسَ الأسودَ بالحاوية.. ويُلقي بها في تاكسي!

...

ـ أتَعرفُ ما هو أكثرُ وحشةً من العتمة؟

.. رجلٌ يَتْركُكَ فيها وهو يَغيب!

عمّان

أرق النهر

. غـــازي الـذيـبـــة .

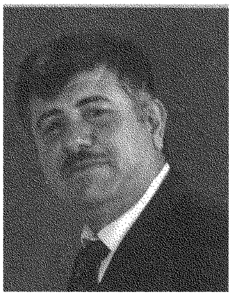

غازي الذيبة

مواليد الظاهريّة (الخليل) في فلسطين المحتلة. صدرتْ له الدواوينُ الآتية: **جُمل منسيّة، دقيقة وأخرج حيّاً، مفاتن الغيب، حافة الموسيقى**. كتب سيناريو عدد من المسلسلات التلفزيونيّة، من بينها: **أبناء الرشيد** (بالمشاركة مع غسان زكريا)، **ذاكرة الجسد** (عن رواية أحلام مستغانمي)، **أحمد الفاتح** (قصة تأسيس دولة).

ـ ١ ـ

على حجرٍ باردٍ في ظلال السماء
مرَّ المساءُ،
وكانت عصافيرهُ غافياتٍ قليلاً.
وعند ارتجاف الخُطى قُربَ قلبٍ قريبٍ،
تهاوت حجارتُهم من بعيد،
ورحنا إلى أرق النهر.
كان يرفرف في جريهِ إلى المسيلِ،
ويمتحنُ الصبرَ في دَفْقةِ المُنشدين:
بلادي نُحبكِ،
فلا تخذلي الماءَ فينا!
نُحبكِ؛
فإنْ كنتِ أقربَ منّا إلينا
وأبعدَ منا إلينا،
نُحبكِ!
لا نستريح بغير تَلمُّسِ وجهكِ فينا
فلا تخذلينا.

ـ ٢ ـ

على حجرٍ دافئٍ في ظلال الصلاة،
وعند ارتعاشِ الندى بالجباه،
قريبًا من القهر،
عند هتافِ الطيور الطليقة،
كان النشيدُ وحيدًا على الجسر.
كان الرفيفُ رشيقًا
يُرَقِّقُ أنفاسَهُ للوصول إلى النبض.
وكُنا ننادي على الماء
والأنبياء،

على الريح في توقها للانعتاق؛
أهذا جنونُ الهواء
أم النهرُ يركض، قلنا؟
أم الشهداءُ سيطوون أجنحةً من جديد؟
وأحلامنا، آه، إذ تهتدي للطريق،
سيرفعُ فيها الرجالُ مناديلهم
ويرتفعون إلى آخر الأرض
أو أول الأرض
لا فرقَ.
كانت هنا مثلَنا تستريح وتُنشدُ،
كانت تُوزّعُ أطيافها في ظلال السماء.

ـ ٣ ـ

على حجرٍ شاهدٍ سيستيقظُ النهرُ،
سترتجفُ الريحُ،
تُعولُ،
تحملُ سُندسَها في ظلال الشجر
على وطنٍ لاذعٍ حين يصرخ أولادُه
يا إلهي!
ما الغناءُ الذي تتنفّسه الريحُ في جُرحك الذهبيّ؟
ومن ذا الذي كلّما اشتُقَّ من روحه قمرٌ
فاضَ في روحهِ عطرُ القمر؟

ـ ٤ ـ

على حجرٍ في ظلال البهاء،
وعند تقاطعِ قلبين،
قافلتين،
وصوتٍ شجيٍّ
وتلويحةٍ بالزغاريدِ تشدو
«بلادي أحبّكِ»
توكّأتُ ظلّي،
وصلّيتُ يا وطني مرتين،
وناديتُ أحلامَنا في الهتاف.
خِفافًا وصلنا إلى النهر
كُنا نُغطِّس أقدامَنا في القداسة:
ماءٌ،
وطهرٌ،
وقلبُ نبيٍّ كسيرٍ
هنا قذفوه بآثامهم.
وهنا راقب الخوفَ فيهم،
وكان يُحدِّق في ما سيأتي،
وفي ما سيحمل عند التراتيل،
حين يُوزِّع قمح السهولِ على الفقراء
ويُلقي مواعظَه للطيور.

ـ ٥ ـ

على حجرِ الماسِ
كانت تُصلّي الطيورُ الجمِيلةُ في قلب أحلامنا
كانت تُهدهدُ أنفاسَها في هُتاف المساء النديّ
«بلادي بلادي فِداك دمي!»
ولم يكُ لونُ المساء خفيفًا
كما تدّعي ثكناتُ الظلام،
ولم يكُ صوتُ الغمام رقيقًا.
وكانت فروعُ الحدائق
ترفع أعلامَها تحت سقف المدينة
وتُعلن أسماءها وطنًا لا يُضام.

ـ ٦ ـ

على حجرِ الضوءِ
يبزغُ مثلَ الملاكِ الرشيقِ
رأى الأنبياءَ يصيدون أسماءهم
في حقول الوسنْ
فغنّى الشبابُ وغنّى الكهولُ:
«تعيش بلادي ويحيا الوطن.»

ـ ٧ ـ

على حجرٍ نائمٍ في القوافي
رأى الصبحُ أحلامَه في الدروب
وسار على رِسْلِهِ هادئًا.
على رملهِ في الشروقِ انتحى جانبًا
ثم مالت به الريحُ.
قال لها استيقظي
أنتِ نائمةٌ.
لم تُعدّي الخيولَ لركض الصباح
ولم تَصْهلِ الكلماتُ على جرْسها في الأغاني
فنادت عليه.

كانت ذراعاهُ قافيةً
ويداه تذوبان في جيدِها.
وكانت على رِسلها تتهادى
وتغزلُ ثوبًا جديدًا ليومٍ جديدٍ
وتُوقظُ أحلامَها في أثيرِ المكان.
وكانت بلا خِفّةٍ تَتَروّى
وترسمُ دربًا لها في الزمان.
هنا قلبُها نابضٌ،
هنا صوتُها طالعٌ بالرياحين،
هنا ينبضُ الشعبُ بالأرجوان.
وكانت هنا
كان قلبُ المدينةِ يضحكُ هذا المساء
ويَنْدهُ من أول الطلع حتى بهاءِ الصدى.
أنا البوحُ أصعدُ يا درجات الأعالي،
وأوقظُ كلّ الطيور الرشيقة في الركض
فتأتي على نَدَهات الرجال خيولُ الندى.

- ٨ -

على سطرِ قافيةٍ
تحتفي بالهواء وترقصُ في خُضرة الصُبح،
كان السديمُ شفيفًا،
وكان الهدوءُ المُعتقُ بالصمت
يلمحُ عاصفةً من بعيدٍ.
حبيبان قُرب البعيدِ القريبِ
كانا على حجرِ النهرِ
يرتفعان
ويرتجفان
ويصطدمان ببوحِ الشجرْ.
هنا وطنٌ تائهٌ في اقتفاء الأثرْ،
وليلٌ طويلٌ ينامُ وحيدًا أمام النشيد.
هنا في القريبِ البعيدِ
حبيبان لم يُوقظا الناي بعد،
ولم يذهبا في الطريق إلى الظلّ.
كانا يُعدّان أيّامنا في الشرود،
ويرتبكان بلا موعدٍ،
وينتبهان إلى غابةٍ كلّما نَوّمَ الجوعُ أبناءها
رفعتْ رأسها من جديدْ
وتحلّت بالنشيدْ.

- ٩ -

على حجرٍ دافئٍ،
تحت قائظةِ الشمس،
كانا يُعيدان للبيت شُبّاكَه،
وللشجرِ المُتناومِ خَفْقَ الطيور:
على حجرٍ لم يعد خائفًا
يصعدان إلى الضوء،
يلتمسان قليلاً من التوق للانعتاق
وبعض العناقِ،
ويهتديان أخيرًا إلى الصوت
حين يُدندن أحلامَه
وحين يثورْ.

- ١٠ -

على حجرٍ يا بلادي أحبكِ.
كان يُرتّلُ آياتهِ في غموض الصور.
ومُندفعًا في التوقعِ كانَ،
ويهتفُ
يهتفُ
حتى يُفيقَ النهار على بُحّةٍ
أينعتْ في الشجر.
هنا صوتهُ
هنا عزفهُ
هنا يُنشدُ الماءُ والظلُ والأنبياءُ جميعًا:
«إذا الشعب يومًا»
فيرتدُّ فيه «أراد الحياة.»
تُزغرد عاشقةٌ في القفار:
«فلا بدّ أنْ»
ويردُّ الصدى: «يستجيب القدر.»

عمّان

عندما لم تقع الحرب

. رائـــد وحـــش .

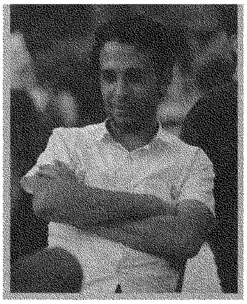

رائد وحش

شاعر وصحافيّ فلسطينيّ. ولد عام ١٩٨١. له ثلاثة دواوين.

هنالك بابٌ هزّته كاميراتُ الهواة في السلّم
وها هو ذا يتهاوى من تواردِ الأخبار.
البابُ العنيدُ
لا يقبل أن يخلعَهُ الجنودُ
عند اقتحامِ البيت.
ولكي لا يشهدَ ما يعرفُ أنه واقعٌ،
يهوي جثّةَ خشبٍ
باردةْ.
هو بابٌ خشبيٌّ
نَجّره جدٌّ للتسلّي قديمًا،
وتسلّت به الرّيحُ قديمًا وحديثًا،
وها هو ذا يأخذ الأمرَ جديّاً،
ويسقطُ
كجنديٍّ
على خطِّ النّار.
حين تُحْصون خسائرَ هذه اللاحرب
وما سيتلوها،
لا تنسوْا
تسجيلَ ندمِ هذا الباب.

❖❖❖

قال الرجلُ القاعدُ في الحانة للكرسيِّ الفارغ:
«عندما تقع الحربُ سيُحبُّ الناسُ الناسَ إذ يرجعون شعبًا:
المعلّمون يضيئون السّبّوراتِ بالشّموع..
العشّاق يحْسبون الثّواني وأجزاءَها للعبور إلى بعضهم بعضًا..
الأمّهات يتقاسمن مؤنَ البيوت...»

قال الرجل القاعدُ في الحانة للكرسيِّ الفارغ:
«سيحبُّ الناسُ الناسَ والمكانَ،
ويكون الناسُ ناسًا، والمكانُ مكانًا..
فقط عندما تقع الحرب.»
قال الكرسيُّ الفارغُ:
«أين تقع الحربُ لأجلبَها مخفورةً؟»

❖❖❖

ها هو ذا يملأ جدرانَ قبره:
راجلاً عند بوّابة القدس،
أتذكّر الناصريَّ وأضحكُ.
لا بدّ من حمارٍ ليستقبلني البلديّون بأغصان الزيتون.
ها هو ذا يطرّز حواشي كفنِه:
أودّع إسطنبول فور دخولها، ما من طمأنينةٍ لابن أربعة قرونٍ من الاحتلال. جمالٌ قاسٍ في مرايا حصّتي من حوض الأبيض المتوسّط. ماذا فعلتُ لها؟ سرقتني من حياتي واركبتني قطار السّفربرلك.
ها هو ذا يدقّ الخطوات، جيئةً وذهابًا،
كعقرب ساعةٍ يعدُّ أوقاتًا لا تعدّ
في زنزانة الأبديّة.
خطواتٌ تتصادى في الفراغ فتزيده فراغًا،
مثلَ نُقط الماء تسقط لتمدّ من أَجَلِ السّجْن.
ها هو ذا يفكّر
بينما اليدانِ تحْفنانِ ماءً:
كنتُ فلاحًا في هافانا،
أزرع قصبَ السكّر
وأتحدّث عن كاسترو بحماسة كوبيّةٍ.
لا شأنَ لي بنيويورك.
لن أدخلها، هوت شخصيّتُها مع البرجيْن،
وبانت أنيابُها
تحت دخان حروبِ الإرهاب.
أنا فلاّحٌ،
والفلاّح لا يجرؤ إلا على دخول بيتٍ خلاسيّةٍ
علّمتْه التانغو مقابل تعليمها الدّبكة.
ها هو ذا الدّلوُ يمتلئ بآخر حفنةٍ
فيدلقه على رأسِه ليصحو
وكأنّ الموت
مجرّدُ غيبوبةٍ.
هو ذا، الآن، أنا..
أكتبُ على حوافي الجريدةِ
في زاوية المقهى:
«الشعبُ يريد...»
وحين أبدلُها ساخرًا:
«شكرًا.. الشعب يريد الرّصاص»
يسقط النظام.
ها أنذا الآن
بيتًا.. بيتًا..
حارةً.. حارةً..
أصنعُ الثورة
من جثمانِ الجريدة
كلعبة كلماتٍ متقاطعةٍ.

دمشق

قصائد

• قيس مصطفى •

قيس مصطفى

شاعر فلسطينيّ مقيم في سوريا.

صلاة البحيرة

توما

توما

يومًا ما ستعودُ إلى البحيْرةِ التي وقفتَ عليها

مع أحدَ عشرَ رجلاً يستعدُّون للمضيِّ في أصقاعِ الأرض،

وستسعفُني لنحدّثَ امرأةً عن بحيرةٍ أحببناها معًا ـ

قبّلتني على شفتيَّ،

ووضعتْ رأسها على ركبتيَّ.

سنحدّثها عن بحيرةٍ شربتْنا بكأس الحنين:

أنتَ من ألفيْ سنة وعشر سنوات وسنة،

وأنا قبل فكرةِ الله والماء

ومقتلة.

ـ سنعودُ يا توما

إلى طبريّا

...

توما

توما

قلْ لي: ماذا أحسستَ وأنت تضعُ إصبعَك

مكانَ المسمار؟

أخبرني بما اعتراك حين

ودّعتَ الرّفاق الذين سينهمكون بإحياء الموتى

واسترجاعِ الأرواح المنفلتة من عقالها؟

ـ أعطني إصبعك

لأتبعك.

...

توما

توما

ربما لن تعرف شيئًا

عن عقلٍ يعمل بالكهرباء،

ولا عن خاصرةٍ مكشوفةٍ في صورة فوتوغرافيّة

لامرأة ترتدي جينزًا فاتحَ اللون.

ومن العبث أن أحدّثك عن المشروبات السريعة المعلّبة.

لكنك ستفهم معنى أن تموت روحي دونها.

وهذا ما سيحتاج لمسةً من يديك

تحت ضوء الشمس.

- هي بنتُ مذبحة

وأنا ابنُ مذبحة.

...

توما

توما

جلسنا وحيدين على صخرةٍ تُشْرف على نبعة

وأمالت رأسَها زهاءَ نسمتين

وطلبتْ مني أن أقبّلها فامتثلتُ.

ثم ضممتُها وبدّدتُ غيمةً في عينها.

- قل لي:

كيف أستعيد لحظةً هاربة؟

...

توما

توما

ومضيتُ بها إلى غرفةٍ بلا أيقوناتٍ تُذْكر

وغرقتُ في دمها

فأعِدْها عذراءَ من غير سوء

كي أغرقَ مرةً أخرى

في جنّةٍ مشتعلة.

...

توما

توما

وأنا حملتُها عندما ثملتْ

في ظلام المخيّم

وغسلتُ أضلاعَها غصنًا غصنًا

وأخذتُها إلى كرمةٍ وقتَ الحصاد

فأخذتني، حين ثملتُ، إلى شوكها

ومقصلة.

مسوّدة ثوريّة

سأطيلُ شَعري

مرةً أخرى،

وألبسُ البذلةَ العسكريّة،

وأتصوّر

وفي فمي سيجارةٌ حمراءُ طويلة

تشجيعًا للصناعة المحليّة ولأنّ السيجار غالٍ.

وسألبسُ صندلاً

وعلى خصري سكّينٌ تُطوى بستّ حركات

وتُفرد بستّ حركات.

وفي جيب بنطالي

زجاجةٌ من الروم

أو عرق الريّان - لا فرق.

وعلى رأسي بيريه عسكريّة

حمراءُ طبعًا،

وفي مقدّمتها نسرُ الجمهوريّة.

وربما سأذهب بكوفيّةِ

أبي عمّار.

المهمّ أني سأذهب ملثّمًا

كالطوارق،

وخصلاتُ شعري تصل الأرض،

خارجًا من كهف البروليتاريا الرثّة

إلى جنّة الطليعة الثوريّة.

سيكون لي أبناءٌ غيرُ شرعيين

من نساءٍ عديدات

في قرى الجبال الوعرة،

أسوةً بكلّ الرفاق.

وسأقاتل

بالسلاح الأبيض

لأصير رمزًا ككلّ الرموز العالية.

أؤكّد لكم يا رفاقُ أنيّ

مؤمنٌ بالعنف الثوريّ،

وأكره الثوراتِ البرتقاليّةَ الناعمة

أو تلك الأشياءَ التي يسمّونها

تظاهرًا في الساحات.

هل تعرف وديع حدّاد يا رفيق؟

قال يومًا: «وراء العدوّ في كلّ مكان!»

هل تعرف جورج حبش
وغسّان كنفاني وناجي العلي؟
هل تعرف؟
هل تعرف؟

يا رفاق

موبايلي عطلان لأنه وقع في مغسلة الفودكا.
كنتُ أقرأ صحيفة **برافدا** وقتها
التي هي مثل مجلة **الحريّة** أو **الهدف**.
استيقظتُ باكرًا،
وحيّيتُ الرفيق ستالين.
في الصباح وأنا أتوسّد الأرضَ
وعلى المنضدة بندقيتي،
كنتُ أخطّطُ لحبِّ امرأةٍ تسكن في دمشق
أو في كاراكاس
أو برلين ما بعد هتلر،
وستحبّني الألمانيّةُ لتثبتَ لي
موتَ النازيّة
وانتفاءَ التمييز العنصريّ في بلادها.
شعري الذي قصصتُه
سيطول كثيرًا -
أقسمُ على ذلك.
وسأكون ثوريّاً في الشكل
وفي المضمون.
وسأكون مستعدّاً دائمًا،
مثل الفيتكونغ.
أعتقد أنّ الماركسيّة اللينينيّة
كالماركسيّة الماويّة -
فأنا ضدّ اقتتال الإخوة.
كما أنّي أؤيّد فكرة «الحرب المفتوحة»
حتى لو لم يريدوها حربًا مفتوحة.
في طفولتي كنتُ معجبًا بصواريخ الكاتيوشا،
ومغرمًا بالكلاشينكوف.
ومازلت معجبًا بصواريخ الكاتيوشا
ومغرمًا بالكلاشينكوف.
لستُ شيوعيّاً،
ولكني أؤمن بالعدالة والحريّة.
ولذلك
أرجووووووووووك
ضُمَّني إلى جنودك يا أرنستو.

صوتكِ والحريّة

لازمة موسيقيّة لا يستطيعُها إلا تجريحُ الكمنجات.
لازمة أعود إليها عند كلّ هوان:
صوتك والحريّة!
ضدّان مترادفان:
صوتُك الذي لا يملّ شدَّ السلاسل من حولي
هو ذاتُه الذي يمنحني الحريّةَ الكاملةَ في الطيران!
صوتك والحريّة
نهايةٌ واحدةٌ تحتمل طريقين:
حبّا أعلنُه جهرًا على وقع رصاص،
أو موتًا صامتًا.

دمشق

أرضُ الرباط والجهاد مرةً أخرى

أمـــين دراوشـــــــة

أمين دراوشة

قاصّ وناقد فلسطينيّ مقيم في رام الله. يحمل شهادة الماجستير في الأدب العربيّ من الجزائر. يعمل حالياً موظّفاً حكومياً.

- ١ -

فجّر الجنودُ مدخلَ البيت. دلفوا إلى الداخل. جرّوا الجميعَ إلى الصالة، بعد أن نبشوا كلّ أغراض البيت: الألعاب، ملابس الأطفال الداخليّة... ثم قامت مجموعة منهم بالتفنّن في تعذيب الأب، قبل أن يطلق الجميعُ النار عليه.

توقّفوا عن الإطلاق، بعد أن قال الضابط: كفى! وصلنا إلى مئة.

قام أحد الجنود بإطلاق رصاصة أخيرة، قائلاً: لقد أخطأتَ في العدّ يا سيّدي!

- ٢ -

لم يتكلم أحمد منذ اغتيال أبيه سوى كلمة واحدة:

ـ مئة وواحد!

- ٣ -

يجلس أحمد على الأرض الخضراء. يمسك خريطةً جميلةً للوطن، تتخلّلها بقعٌ سوداء، ومؤشّر. يوضح لرفاقه الشباب خطّة الفعل، لا الكلام.

- ٤ -

تناقلتْ وسائلُ الإعلام خبرَ عمليّة فدائيّة موجعة، أطارت النومَ من عين الأعداء.

- ٥ -

قام العدوّ بحملة دهم وتفتيش واقتحام لآلاف البيوت والأحراش. لم تبقَ مدينة أو قرية أو بيّارة لم يعيثوا فيها فسادًا. لكنّ الحملة، على الرغم من مشاركة قوات النخبة وآلاف الجنود فيها، باءت بالفشل، إذ لم يتمّ القبض على أيّ من الفدائيين الـ ١٠١.

- ٦ -

قال: من ديدوش مراد؟

قلت: اسأل فرنسا.

ـ لماذا؟

ـ هو أحد أبطال الثورة..

ـ الفلسطينيّة؟

ـ لا، الجزائريّة.

ـ لمَ هو مهمّ ومخلّد؟

ـ لأنه القائل: «ألقوا بالثورة في الشارع فسوف تحتضنها الجماهير» لا المقاولون.

رام الله

وطنٌ لا يُحصى

خلدون عبد اللطيف

خلدون عبد اللطيف

من مواليد مدينة عمّان عام ١٩٧٦. صدرت له مجموعة شعريّة بعنوان بين المنزلتين (٢٠١٠). وله مجموعة شعريّة جديدة قيد النشر.

طينتي أقلُّ،
ونجمي طالعٌ،
كأنّي قطرةٌ لم يبتلعْها البحرُ بعدُ ولم تتبخّرْ.
أنا اسمٌ يزهو ولا يَنطقُ به أحد؛
أنتفضُ مثل حُلْمٍ هَزّه الصّحو بغتةً
وفي سبيل ما لا يُقالُ ـ كالحُبِّ ـ
وَقفتُ جارحًا ومجروحًا على مشارف الرِّحلةِ
وصَيدِ الهموم.
أيُّ وجهٍ طائشٍ صار لي؟!
إنّني هنا وافدٌ سريعٌ مثل تهويدة أطفالٍ،
وشاهدٌ على نفوق الأيام.
أُجَرِّبُ تنبُّؤ الجنون
وتجارةَ الأمل الخالص.
سوى نُدوبٍ فاغرة
لم يبقَ،
وأشجاري هاربةٌ في الجهات.
أما الحرائقُ فلا تؤمن بماءِ السِّحرِ
ولا الينابيعِ البعيدةِ.
غير أنّي أمحو يومًا
وأتمهّلُ...
حينَ لا أجدُ خنجرًا له فضّةُ الأبدِ
أو أَرصدُ وميضًا عندَ خطِّ الأفق
ثم أكتبُ برغائبِ العيون الجديدة وطنًا لا يُحصى
في صفحة الأحياء، ولا أنتظرُ
من الصّدى أن يتردّدَ، ولا
أن يَتحرّرَ لؤلؤُ الأصحاب
من مَحار النسيان.
الشمس المُمَجَّدةُ لا تتوعّدُ العميان
الهواءُ أبدًا لأنفاس المُغنّي. والليلُ...
الليل فقط لمن يُبصرُ الأشياءَ بقلبٍ منكوب.

عمّان

قصائد

أحمد حسين السعو

أحمد حسين السعو

من مواليد مدينة القدس عام ١٩٨٣. صدر له ديوان، **يرتدّ إليه قلبه**. تمّ اختياره واحدًا من أفضل عشرة شعراء شباب في الأردن بمبادرة من إمارة الشارقة. أسس مع شعراء شباب في خريف ٢٠٠٥ مجموعة ثقافية شبابية تحمل اسم «أقلام.»

ـ ١ ـ

خارجٌ عن السياق..
بعيدٌ عن السرب..
مقطوعٌ من شجرة..
متفرّدٌ،
منعزلٌ،
ومهجور.
كلُّ ذلك لا يُخبركم
كم أنا وحيد!

ـ ٢ ـ

تبوحُ للطريق بما لا يهمُّها
وتنتظر من الرائحة أن تكون ممرّضتَكَ المقيمة.
تصرخ، وتصير صنمًا يصرخ
لأنّ صراخك طويل:
لا شيء يسدّ اتساعَ الفتق،
أو يُدني أطرافَ الجروح بعضَها من بعض،
إلا عواءاتُ الذئب العجوز..
ومخالبُ الحبّ الذي يبدو بعيدًا.

ـ ٣ ـ

كلّ ليلةٍ
أحتشدُ،
أنضو وعودي للمرأة الحسناء،
أفكُّ أزرارَ الخُيَلاء،
أشيّدُ عراءً وثيرًا،
ثم أنام مدّعيًا أنني لستُ منزعجًا من الوحدة.

- ٤ -

لا أعاتِبُ الطريقَ لأنكِ لا تمشينَ معي فيه،
ولا هو يفعل.
لا أتساءلُ عن دواعي اتّساعِ السَّريرِ كلَّ يوم.
لا تُغضِبُني مقطوعاتُ شتراوس
حين لا ترقصين عليها.
ولا أنفُخُ أسرابَ الوحدةِ في وجوهِ الباعة والأسواق.
أنا لا أبدو عازفًا عن الشِعر بسببِكِ،
ولا مُكتَظًا بنفسي اللوّامةِ،
ولا أَجُوبُ قشعريرتي لساعاتٍ
بحثًا عمّا تبقّى مِن دفئِكِ.

لا أدوخُ...
ولا أختنقُ لشدّة امتلاءِ رئتيّ
بكلماتِ الحُبِّ المهدورةِ.
لا أبدو كرجل مشتاقٍ إليكِ
حدَّ الانتحار بالصُّراخِ المُثَلَّثِ

- ٥ -

لديك شامة شبقةٌ
في موضعٍ لن يراه أحدٌ في جسدك.
لن يراه أحدٌ
لأنْ لا أحد يراك!
ولدى الحب حفلُ شواءٍ للحمام الزاجل
الذي أرسلت معه القصائد
ولدى البعيدين بعيدون يبادلونهم النكات.
وأنت، هنا، تفرك حجارةَ الذكريات برأسك
الذي لا يَنسى بشكلٍ جيّد ولا يتذكّر بشكلٍ لائق.

عمّان

تبحث الراوية عن ذاتها وأنوثتها في زمن التكنولوجيا، والمكاتب المغلقة، والتوحّش الجسديّ والنفسيّ. فتسعى إلى بثّ التمرّد في نفوس الآخرين على من تسمّيهم «فئران المكاتب»، وذلك عن طريق عملها مدرّبة كومبيوتر.

رواية معاناة متفجّرة، وعشق مرير، وسرعة تسحق الروح سحقًا.

فيروز التميمي ـ روائيّة أردنيّة حائزة جائزة الشارقة للإبداع العربي عن روايتها، ثلاثون. تحمل شهادة في الهندسة الكهربائيّة والحاسبات.